المحاضرة الثانية عشر: ثورة مايس عام1941

انعكست تطورات الحرب العالمية الثانية على الوضع في العراق، فمنذ انهيار فرنسا ودخول ايطاليا الحرب الى جانب المانيا في حزيران1940، تحول الرأي العام العراقي عن بريطانيا وساد الاعتقاد بأن بريطانيا ستسقط بعد ان سقطت فرنسا، وتزامن ذلك مع فشل الجهود في الحصول على تعهد من بريطانيا حول القضية الفلسطينية. وفي ظل هذه الظروف ازدادت المشاعر القومية المعادية لبريطانيا، التي طلبت من العراق، استنادا الى معاهدة المعقودة بين الجانبين، قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا كما قطعتها مع المانيا. وفي تلك المرحلة أرسلت الحكومة العراقية وفدا ترأسه ناجي شوكت الى تركيا أجرى اتصالات سرية السفارة الالمانية في تركيا ومع القنصلية الايطالية، وأبدى الوفد الاتجاهات القومية للحكومة العراقية ورغبتها في التحرر من السيطرة البريطانية . وقد أثارت تلك التحركات ورفض العراق قطع علاقاته مع ايطاليا حنق بريطانيا، التي استمرت بممارسة الضغط على الحكومة العراقية بزعامة رشيد عالي الكيلاني. اما وزير الخارجية نوري السعيد فقد كان مؤيدا لوجهة النظر البريطانية. وحاول اقناع حكومة الكيلاني بأن التحالف مع بريطانيا والولايات المتحدة فيه فوائد كثيرة للعراق والعرب عامة.

اخذت بريطانيا من خلال الوصي على العرش الامير عبد الأله بالضغط على حكومة الكيلاني لتقديم استقالتها، عندئذ تدخل الجيش لصالح بقاء حكومة الكيلاني. فاتجه الوصي لممارسة الضغط على الحكومة من خلال حشد المجلس النيابي ضدها. الا ان الكيلاني بادر الى كتابة الارادة الملكية بحل المجلس النيابي وعرضها على الوصي لتوقيعها، الا انه رفض وهرب الى جهة مجهولة تبين لاحقا انها الديوانية. فاضطرت حكومة الكيلاني لتقديم استقالتها بعد ان وضعها هروب الوصي في فراغ دستوري.

ممهدات ثورة مايس1941

1-هروب الوصي عب الأله الى الديوانية

يبدو أن الوصي في اختياره الهروب الى الديوانية كان يهيء للقضاء على القادة الأربعة، فالديوانية مركز عسكري مهم اعتقد الوصي بأنه يمكن ان يستغله لمقاومة حكومة بغداد، ولهذا عقد فور وصوله اجتماعاً عسكرياً لأمري الوحدات واتصل بالمحافظين (المتصرفين) تلفونياً وطلب اليهم عدم تفيد أوامر بغداد، لكن

وصول استقالة الكيلاني الى الديوانية جعل الوصي يوقف اتصالاته ويطلب حضور بعض الساسة من بغداد للتداول في تشكيل الوزارة الجديدة.

2- تشكيل وزارة طه الهاشمي شباط1941

عهد الوصي في (1 شباط 1941) الى طه الهاشمي بتأليف الوزارة التي ضمت بلاضافة اليه واحتفاظه بوزارة الدفاع أيضاً كلاً من: عمر نظي للداخلية والعدل، علي ممتاز للمالية، عبد المهدي المنتفكي للأقتصاد، صادق البصام للمعارف، وحمدي الباجه جي للشؤون الاجتماعية، وتوفيق السويدي للخارجية، واوضح طه الهاشمي ان سياسة حكومته الخارجية لا تختلف في جوهرها ومراميها عما سارت عليه الوزارات المتعاقبة من سبل وما توخته من أهداف، وقال: ان العراق كدولة ناشئة احوج ما يكون الى الابتعاد عن ويلات الحرب."

3- موقف رشيد عالي الكيلاني والقوميين/ او دور اللجنة السرية العربية

تكتل رشيد عالي الكيلاني مع بعض رجال الحركة القومية وشكلوا جمعية سرية بأسم (اللجنة السرية العربية) كان أبرز اعضائها الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي وناجي شوكت، وتقدمت اللجنة السرية بطلب لتأسيس حزب علني بأسم (حزب الشعب) ليكون ستاراً للجنة السرية وواسطة للدعاية ولكن وزارة الداخلية رفضت اجازته .

من الملاحظ على تشكيلة (اللجنة السرية العربية) إنها مثلت العسكريين والمدنيين. الا أنه لم يكن هناك غير عربي واحد من خارج العراق هو المفتي، ويبدو أن التمثيل المحدد للعرب في هذه اللجنة يعود الى أن المفتي هو المسؤول عن العرب القوميين الموجودين في العراق من السوريين والفلسطينيين واللبنانين، فهو بهذا يمثلهم، ولعل ضرورات العمل السري ولكون الثورة التي كان يهيأ لها ستقع في العراق وليس في فلسطين أو شرقي الاردن كما كان مقرراً من قبل، أوجبت ان تكون التشكيلة على هذا النحو.

عقدت اللجنة العربية اجتماعات لاحقة لأجتماعها التأسيسي لأتخاذ قرارات بشأن ما يستجد من احداث. وقد ناقشت اللجنة الضغوط، فأتفقت على أن ضغط بريطانيا على العراق لقطع علاقاته الدبلوماسية مع ايطاليا يراد منه "زج العراق في الحرب وارغام بقية الاقطار العربية على السكوت وعدم المطالبة بحقوقها."

4- موقف بريطانيا من تحركات القادة القوميين

أما بريطانيا فقد أرادت الاستفادة من تطور الحوادث في العراق فرتبت اجتماعاً بين ايدن، وزير خارجيتها وتوفيق السويدي وزير الخارجية العراقي في القاهرة. وقد اوضح ايدن للوزير العراقي نقمته على الجيش العراقي والزعم بأنه "قداصبح متشرباً بروح النازية والفاشية" وبرر عدم إيفاء بريطانيا بالتزامتها بتسليح الجيش العراقي بأن الجيش اصبح بعيداً عن التعاون مع بريطانيا ويبدو انه طلب من السويدي تشتيت قادة الجيش القوميين واضعاف نفوذهم. ولهذا انتشرت الاشاعات عن طلب بريطانيا من العراق تنحية القادة العسكريين. وقد شعر القادة بعد صدور امر نقل كامل شبيب في (26 آذار) الى قياد الفرقة الرابعة بأن هذا النقل أشد خطراً وابلغ أثراً وان الجهة الاجنبية هي التي تريد ذلك.

اندلاع ثورة مايس

يمكن تتبع احداث الثورة كالآتي:

1-عقدت اللجنة العربية اجتماعاً في يوم (31 آذار) قررت القيام بالثورة ولعل أهم ماذكر في هذا الاجتماع قول العقداء الاربعة بأنه يجب أن يعيدوا عهد القائد العربي (خالد بن الوليد). وفي مساء اليوم التالي، الاول من نيسان، عقد اجتماع في معسكر الرشيد حضره العقداء الاربعة(صلاح الدين الصباغ،كامل شبيب،محمود سلمان،فهمي سعيد) اضافة الى أمين زكي وكيل رئيس اركان الجيش، وتقرر في هذا الاجتماع أعلان حالة الطوارىء في معسكر الرشيد ووزعوا الجنود في نقاط مهمة في بغداد وحول القصر الملكي، واوفدا فهمي سعيد يرافقه امين زكي لتقديم الرجاء الى رئيس الوزراء طه الهاشمي بالاستقالة، فعاد فهمي سعيد يرافقه امين زكي وهو يحمل استقالة الهاشمي موجهة الى الوصي.

2-بعد استقالة الهاشمي كادت الازمة أن تنفرج لولا هروب الوصي، وكان الوصي نائماً في قصره عندما وصله خبر الحركة، فأنتقل الى دار عمته صالحة في الرصافة ثم التجأ بعد ذلك الى السفارة الامريكية واجتمع لبضع ساعات مع الوزير المفوض الامريكي نابنشو knabenshue الذي دبر نقله الى الحبانية بسيارة السفارة في اليوم التالي وهناك قابل الوصي السفير البريطاني الجديد كنهان كورنواليس الذي وصل لتوه الى الحبانية في طريقه الى بغداد لاستلام من عمله. وقد أبلغ كورنواليس ان التوصل الى تسوية مع الثوار قد

اصبح مستبعدا وشجعه على الذهاب الى البصرة والعمل من هناك لأستعادة السيطرة على الموقف بعد تشكيل حكومة جديدة في البصرة وزوده بمبلغ كبير من المال لمقاومة الثورة. وقد نقل الوصي على متن طائرة حربية الى البصرة يرافقه علي جودت الايوبي ومرافقه عبيد الله المضايفي فوصلوها في 3 نيسان .

3–تشكيل حكومة الدفاع الوطني: وفي الوقت نفسه اصدر رئيس الاركان بياناً الى الشعب العراقي اتهم فيه الوصي بالعمل على احداث الشقاق في صفوف الامة، والتشبث بشتى الطرق لاستحصال البيعة لنفسه على عرش العراق، وتحطيم الجيش الوطني، وأعلن البيان عن تشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني. وقد اذاع الكيلاني بياناً بعد ذلك اعلن فيه سياسة الحكومة الجديدة التي اساسها عدم توريط البلاد في اخطار الحرب والقيام بأداء رسالتها القومية والمحافظة على تعهداتها الدولية وتقوية الروابط الحسنة مع الاقطار العربية المجاورة.

4–الموقف الشعبي من احداث ثورة مايس

اثار نبأ تشكيل حكومة الدفاع الوطني موجة عارمة من الحماسة الوطنية فخرجت الجماهير الى الشوارع مجرد سماعها النبأ تهدر باللعنة ضد الانكليز واعوانهم في العراق فكان الشعب شيباً وشباباً يردد "يسقط الخونة" "يسقط عبد الاله الوصي" وانهالت على مبنى رئاسة الحكومة الاف البرقيات تأييداً للثورة، وكان اكثر المؤيدين حماسة هم المدرسون الشباب وطلابهم ذوو المشاعر الوطنية والقومية. كذلك جاءت الوفود من كل انحاء العراق الى بغداد لتضع نفسها تحت تصرف الحكومة الجديدة، كما أعلنت المنظمات والنوادي القومية مثل نادي المثنى والجوال العربي عن تأييدها ودعمها للثورة.

5–موقف الوصي من احداث ثورة مايس

أما عن الوصي فقد حاول أن ينظم حركة مقاومة مسلحة في البصرة وأن يشكل حكومة مناوئة تتولى تصفية الثورة بالقوة. وكان متصرف البصرة صالح جبر أول من أبدى استعداده للتعاون مع الوصي للتصدي للثورة، وحاول اقناع قائد حامية البصرة وقائد القوة النهرية وقادة وحدات الجيش المرابطة في المنطقة بمسائدة الوصي، الا انهم رفضوا واتخذوا قراراً بعدم مقاتلة وحدات الجيش المرابطة في بغداد وعدم السماح للقوات البريطانية بدخول البصرة، ومنع الوصي من تأليف حكومة في البصرة. ثم صدرت الأوامر من بغداد الى قائد

حامية البصرة بعزل صالح جبر وأحضاره مخفوراً الى بغداد حيث القي في السجن. وبعد أن أدرك الوصي فشله في مقاومة الثورة التجأ في (4 نيسان) الى سفينة حربية بريطانية راسية في شط العرب ثم انتقل الى فلسطين والاردن .

6-عزل الوصي عبد الأله

اوجد هروب الوصي وتركه لمسؤولياته الدستورية ازمة دستورية في البلاد، وقد ظهرت عدة آراء لمعالجة هذه الازمة، فأقترح بعضهم الغاء النظام الملكي واعلان الجمهورية الا ان غالبية الاراء كانت تريد ابقاء الملكية واختيار وصي جديد على العرش. فوقع الاختيار على الشريف شرف وعقد مجلس الامة جلسة في (10 نيسان 1941) وسط تظاهرات ضخمة كانت تجوب شوارع بغداد مؤكدة تأييدها للثورة، وكانت تلك التظاهرات من السعة بحيث لم يتمكن العرب القوميون الشباب وكذلك الشرطة من السيطرة عليها بسبب الحماسة التي تجلت عند ابناء الشعب في دعمهم لثورتهم القومية. وقد قرر مجلس الامة بأجماع الحاضرين عزل الوصي عبد الاله وتعيين الشريف شرف بدلاً منه. وكان اول عمل قام به الوصي الجديد اصدار الارادة الملكية بقبول استقالة طه الهاشي وتكليف الكيلاني بتشكيل وزارة جديدة بشكل دستوري. فشكل الكيلاني وزارته في (12 نيسان) واعلن ان حركة الشعب الوطنية لم تكن عبئاً، وانه يؤيد رة الامة، وقيام الحكومة بواجباتها الدولية بما يتفق مع تعهداتها، ولا يسيء لكرامتها.